

اللّهجات بما في ذلك الأمازيغية، وقد اعتنى الدارسون بهذه الظاهرة اللسانية التي اصطلح عليها بـ: "التعدّد اللغويّة" التي تقابل في اللغة الأجنبية مصطلح: Multilinguisme.

يعدّ هذا المصطلح من المصطلحات اللسانية المركبة من مصطلحين: "التعددية"، "اللغوية"، فأما التعددية فيحيل المصطلح لغويًا إلى: تعدّد، يتعدّد تعدّدًا؛ أي صار كثيرًا، وفي ذلك يقول ابن منظور (ت ٥٧١هـ): "العدّ إحصاء الشيء، عدّه يعدّ عدًّا...، والعدّة الجماعة، قلت أم كثرت...، والعديد: الكثرة...، وهو يتعدّدون ويتعدّدون على عدد كذا أي يزيدون في العدد"، فالمصطلح يشير إلى الزيادة العددية.

أما في الاصطلاح فنجد قاموس اللسانيات لجون ديبيوا قد عرّفه قائلاً: عندما يجتمع أكثر من لغة في مجتمع واحد، أو عند فرد واحد ليستخدما في مختلف أنواع التّواصل، والمثال المشهور هو دولة سويسرا؛ حيث الفرنسية، والإيطالية، والألمانية، هي لغات رسمية بها^٢، والمعنى نفسه نجده عند الباحث محمد الأوراعي؛ حيث يقول: "هو يصدق على الوضعيّة اللسانية المتميّزة بتعايش لغات وطنية متباينة في بلد واحد إما على سبيل التّساوي إذا كانت جميعها لغات عالميّة كالألمانية والفرنسيّة والإيطاليّة في الجهورية الفدراليّة السويسريّة، وإما على سبيل التفاضل إذا وجدت لغات عالميّة كالعربيّة بجانب لغات عاميّة مثل الهوسا، والغورمانشه والسوناوي زارما والتماشيق والفولفولدة والتوبو في جمهوريّة النيجر"^٣.

وبالعودة إلى الجزائر، نجد أنّها تعرف تعددية لغوية بالتساوي لاستعمالها إلى جانب العربية اللّغة الفرنسيّة، كما نجد فيها تعددية لغوية تفاضلية صنعتها اللّغة العربيّة واللّهجات المحليّة التي تتوزّع على اختلاف توزيعها الجغرافي، إلى جانب الأمازيغية التي تحوّلت مؤخرًا إلى لغة رسمية في الجزائر.

وتأسيسًا على ما تقدّم، يظهر أنّ هذا التعدّد يظهر في مستويين: مستوى سياسي رسمي، فرضته الدولة وقتنّه الدساتير، ومستوى اجتماعي يمكننا أن نصلح عليه بـ: "التعدّد اللّهجي"؛ ذلك أنّه كان نتاجًا عن تفرّع اللّغة العربيّة وانقسامها إلى عدّة لهجات، وهو أمر طبيعي لا مناص منه، فقد أصبح التعدّد اللّساني بصفة عامة ضرورة وحتمية تتعرّض من خلالها اللّغات إلى الانشطار والانقسام محدثة تنوعًا وتعدّدًا لسانيًا ملحوظًا بفعل عدّة عوامل اجتماعية، وجغرافية وغيرهما، ولعلّ أكبر شاهد على ذلك تاريخ اللّغات، إذ لا يخلو مجتمع من تلك التعددية.

واللّغة العربيّة في الجزائر لم تكن شاذة عن تلك قاعدة؛ حيث عرفت هي الأخرى انقسامًا جاء في شكل لهجات توزّعت في كامل التراب الجزائري ممّا أنتج تنوعًا بارزًا، وهي وإن كانت لا ترقى إلى مستوى الفصحى ولكنها تشترك معها في كثير من بناها الصوتية وصرفية وتركيبية ودلالية ومعجمية، من منطلق أنّ اللّهجة أو العاميّة ما هي إلا تحريف للفصحى.

والمتملّ في ظاهرة التعددية اللّغوية واللّهجية يجدها نافعة وضارة في الوقت نفسه، فنفعها يكمن في أنّها وسيلة من وسائل التّفاهم والتّواصل بين أفراد المجتمع الواحد، كما تكون مفيدة أيضًا إن كانت مسلّكًا يبتغي الانفتاح الثقافي على مختلف الثقافات سواء أكانت أجنبية أم محلية، فكلّ منها يحمل إرثًا ثقافيًا ولسانيًا مميزًا، وذلك لتوسيع دائرة التّفكير اللّغوي بما يخدم اللّغة الوطنية، كما نجدها ضارة إن تحوّلت إلى أسلوب إيديولوجي مريض يسعى إلى تنفيذ سياسات مدروسة للإطاحة باللّغة الوطنية.

والناظر في هذا التّنوع اللّهجي الجزائري يجد أنّه إيجابي تستغله الهيئات الثقافية من أجل دراسته والبحث فيه لاحتوائه على عدّة ظواهر لسانية، وفي هذا الجزء من البحث سنبرز بعضًا من تلك المظاهر من خلال الوقوف على التّغييرات الصوتية، وكذا التّعريف على مختلف الوحدات المعجمية، وهذا بيانه:

أولاً: التّغييرات الصوتية.

ويمكن أبرز تلك التّغييرات من خلال ثلاث ظواهر شاع استعمالها في النّطق العامي، وهي: الإبدال، وتخفيف الهمزة، والقلب المكاني.

أ/ الإبدال.

يعدّ الإبدال واحد من جملة التّغييرات الصوتية الأكثر شيوعًا، فهو يعترى الصّوت حين مجاورته لصوت آخر؛ بحيث «يحلّ حرف مكان آخر سواء كان حرف علّة أم غيره»^٤.

فالإبدال على ذلك، هو وضع حرف مكان حرف آخر وتغييره سواء بحرف صحيح أم معتل على أساس التّقارب بينها، ومردّ ذلك إلى السّماع؛ لأن «الإبدال لا يخضع - في أغلبه - للقياس إمّا يحكمه السّماع»^٥، ومن أمثله: «فلق الصّبح، وقولك: «فرق الصّبح»، بإبدال اللّام راء، وقولك: «وَبَيْتِ الأَرْضِ، وَوَيْلَتْ»، فقد أبدلت الهمزة لاما، ومن أمثله نذكر:

١- إبدال القاف بـ: (g): ويقع في الكثير من المناطق البدوية والمناطق الواقعة في غرب الجزائر، من المعروف أنّ صوت القاف اليوم يختلف عن صوت القاف القديم، فقد «كان يشبه إلى حدّ كبير القاف المجهورة التي نسمعها الآن بين القبائل العربية في السودان، فهم ينطقون بها نطقًا يخالف نطقها في معظم اللّهجات العربية الحديثة، إذ نسمعها منهم نوعًا من الغين»^٦.

هذا التّطور للقاف في الفصحى نجده في بعض اللّهجات العربية الحديثة، كما نجده هذا التّطور في بعض المناطق كتلمسان، والقاهرة، ودمشق، فهي تنطق القاف همزة، وهناك من المناطق من ينطقها غينا أو جيما وأحيانًا كافا، كمنطقة جيجل، وبعض أهل الشام الذين ينطقونها غينا، وأما في المناطق الحضريّة كالجزائر مثلًا ينطقونها بصوت مهموس.

وأكبر الظنّ حول سبب هذا الإبدال يرجع إلى البيئة - كما هو ظاهر-، إذ أنّ صوت (g) يتميز بقوّته وشدّته وجهره، وأما عن الدّراسات الحديثة فتصفه بأنّه صوت لثوي مهموس رغم أنّه لم يتوصّل إلى تحديد كيميّة نطقه في القديم^٧، ومن هنا يتأكد أنّ (g) مناسبة أكثر للمنطقة البدوية، بينما تناسب القاف المهموسة الحواضر، وخير دليل على ذلك أنّ سكان المناطق البدوية يختارون الـ (g) على القاف قائلين: (galmona)، أما منطقة الجزائر العاصمة وسكان الوسط يتكلمون بالقاف قائلين: (القلمونه)، في حين نجد سكان منطقة تلمسان مثلًا يستبدلونها بالهمزة ميلا إلى التّخفيف فيقولون: (المونه).

وهناك من يبدل القاف كافا، وأكثر ما نجده في البلّدية؛ حيث سمعنا من يقول: وعزّكّني بدلا عن "عزّكّني"، "نكّكّك" بدلا عن "نقّكّك"، وقد جاء في المثل قولهم: "أنايلي أكتله أقبل ما يتكلم"، كما نجد الظاهرة نفسها بشكل واسع في جيجل أيضا، أما قولهم: